

ألف حكاية وحكاية (٨٣)

مصباح أمام كل بيت

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشاروني



رسوم
عادل البطراوي

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي
الغزالة - القاهرة

"مصر" بقطرات من دماء الأطفال

كُنَّا ١٢٠ من الفتيات والفتيان ، أعمارنا ما بين ١٢ و ١٥ سنة ، حمل كل واحد منا وردة ، وقد انصهرت مشاعرنا ، فأصبحنا كأننا شخص واحد ، حتى إن كل فرد منا ضغطَ بظرف إبهامه على شوكة من أشواك الوردة التي يحملها ، وبقطرات من دماننا ، اشتر كنا في كتابة اسم "مصر" على الراية التي معنا ، ورفعناها عاليًا .

ثم اتجهت مسيرتنا في صمت ، لنضع ورودنا مع دموعنا ، فوق المكان الذي ارتعشت أحجاره من الألم والاستنكار ، في معبد حشيشوت بالدير البحري بالأقصر ، بسبب دماء الأطفال والأمهات والعجائز التي سألت من ضيوف مصر الأبرياء .

وأضافت "بسنت" ، رئيسة اتحاد طلاب مدارس مصر للغات ، قائلة :



"وبغير اتفاقٍ سابقٍ ،
 وجدنا أنفسنا نُنشدُ بصوتٍ
 واحدٍ : " مصرُ هي أمِّي ، نيلها
 هو دمي ، شمسها في سماري ،
 شكلها في ملامحي ، حتى
 لوني قمحي ، لون خبزك يا
 مصر . "



وكان معنا "فهد" ، الطفلُ
 الصغيرُ الملتحقُ بفصولِ ذوى
 الاحتياجاتِ الخاصةِ بمدارسنا ،
 الذى انفعَلَ بالموقفِ ، فانطلقَ
 وربما لأول مرةٍ فى حياته ،
 يهتفُ فى حماسٍ : " تحيا
 جمهوريةُ مصر العربية " .



وانطلقنا كلنا نرددُ الهتافَ معه ، ونحن لا نستطيعُ السيطرةَ على
 دموعنا .

ف شكرًا لمديرةِ مدارسنا ، فقد هيأتْ لنا كلَّ الإمكانياتِ للقيام
 بالزيارةِ والمسيرةِ ، لنعيشَ تلكَ اللحظاتِ التى لا ننساها ، فى حبِّ
 مصر .

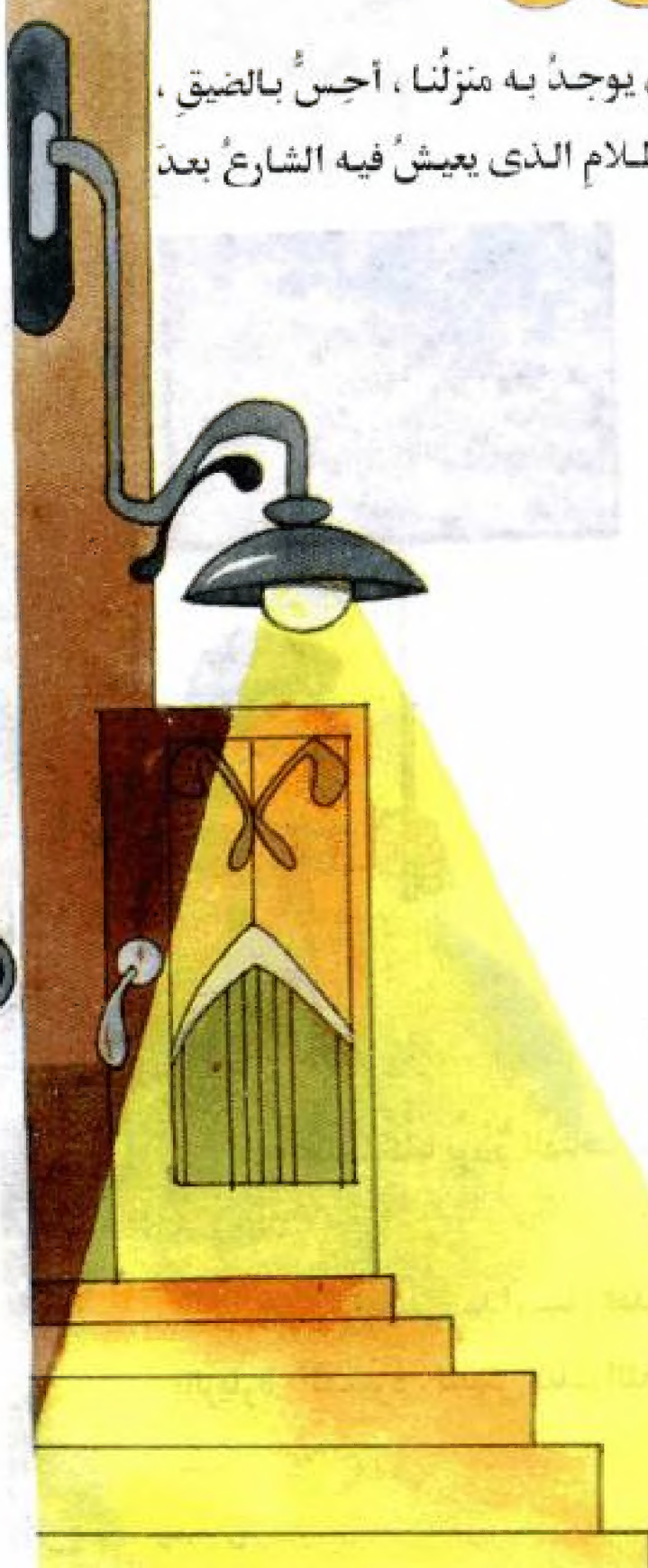
مصباح أمام كل بيت

كلما أمرُ في الشارع الذي يوجدُ به منزلنا، أحسُّ بالضيقِ ،
بسببِ ما نجدُ فيه من قمامةٍ ، وللظلام الذي يعيشُ فيه الشارعُ بعدَ
الغروبِ .

وقد حدثتُ والدي عن
ذلك ، لكنني وجدتُ مشاغلهُ
الكثيرةَ لا تسمحُ له بأن يفعلَ
شيئاً .

ولما كانت لي بعضُ
الزميلاتِ والصديقاتِ في نفسِ
شارعنا ، فقد اتفقنا على أن
نلتقيَ في منزلنا ، للوصولِ إلى
حلٍّ .

وانتهينا إلى أن تُقنعَ كلُّ
واحدةٍ منا أسرَتها وجيرانها
بتدبيرِ مبلغٍ شهريٍّ ، نُكَلِّفُ به
أحدَ العمالِ ، ليجمعَ القمامةَ
من بيوتنا ، وأن يُعلّقَ كلُّ منزلٍ
مصباحاً كهربائياً صغيراً أمامَ
مدخله .



وقد احتاج الأمر إلى أسبوعين أو ثلاثة ، حتى أصبح الشارع مُضيئاً .

كما وجدنا عاملَ نظافةٍ يعملُ في إحدى المصالح الحكومية ، وافقَ على أن يجمعَ القمامةَ من البيوت في الصباح الباكر ، قبل الذهابِ إلى عمله ، مرةً كلَّ يومين ، على أن تدفعَ له كلُّ أسرةٍ نصفَ جنيهٍ شهرياً .

وأصبحنا من أول المستفيدين بالإضاءة والنظافة في شارعنا .



سمعتُ هذه التجربة من طالبةٍ بالمرحلة الإعدادية ، في لقاءٍ بمكتبة الطفل ، بمقر جمعية الرعاية المتكاملة بأسبوط ، كان موضوعه " تعاون الجهود الأهلية التطوعية ، مع الجهات الحكومية ، في حل مشاكل البيئة " .

اسمى محسن برعى إسماعيل ، عمرى ١٤ سنة .. أسطى
ميكانيكى سيارات .. بدأتُ العملَ فى الورشةِ وعمرى ٩ سنوات .
يوميتى ٥ جنيهاتٍ .. إجازتى يومُ الجمعة ، ولا أعرفُ الإجازةَ
السبوية .

الورشةُ تفتحُ من التاسعة صباحًا إلى التاسعة مساءً ، وأحيانًا إلى
الحادية عشرة مساءً .

أعطى والدتى أربعة جنيهاتٍ ، وأحتفظُ بالجنيه الباقى
وبالبقشيش لمصروفى وملابسى ومواصلتى .

لى أخٌ وثلاثُ أخواتٍ ، كلُّهم أصغرُ منى . أحيانًا أعطى
إخوتى مصروفهم ، وهم يطلبون مشورتى فى أشياء كثيرة .

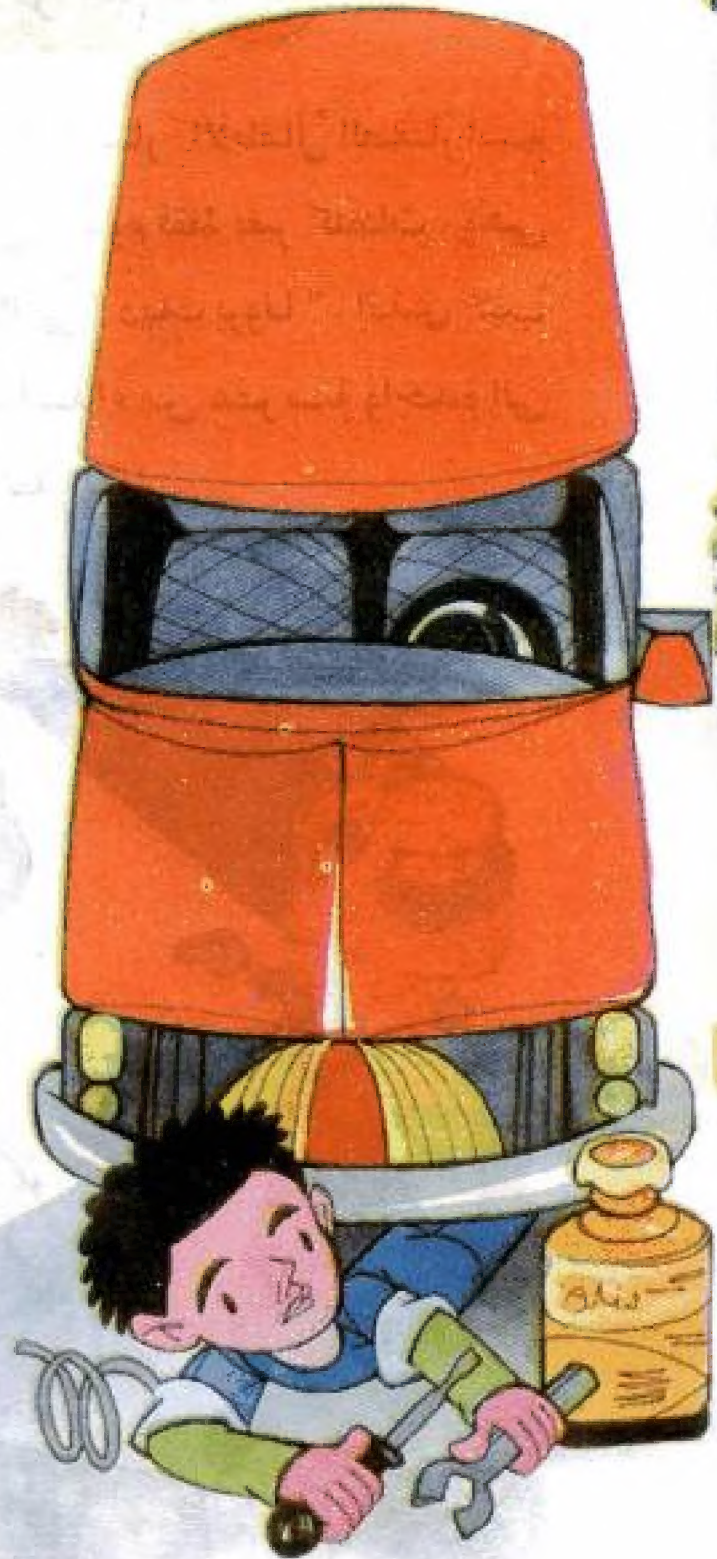
والدى يعملُ فى ورشة
سجاد يدوى ، لكن إنتاجه
قليلٌ لضعف صحته .

والدتى تهتمُّ بى جدًا ،
وكثيرًا ما تقدّم لى مع والدى
أفضل ما فى البيت من طعام ،
وبكميات أكبر مما تقدّمه لبقية
إخوتى ، مع أنهم جميعًا
يتعلمون فى المدارس .



تسليتي الوحيدة
مشاهدة التلفزيون ، وأحياناً
اللعب " بالكوتشينة " مع
إخوتي . أفضل النوم يوم
الجمعة ، لأنني لا أنام وقتاً كافياً
في بقية أيام الأسبوع . لا
أدخن ولا أعرف أية مكيفات
أخرى .

أريد أن أتعلّم القراءة ،
لأقرأ كتب إخوتي التي
تُعجبني رسوماتها . وأتمنى أن
ألعب كرة القدم مع جيرانى
في الحارة ، لكن العائلة تحتاج
إلى يوميتى وتعتمد عليها .



إنهم يعتبروننى رجلاً منذ طفولتى ، ولم يسمحوا لى أبداً أن
ألعب مثل بقية الأطفال .. إنهم يروننى دائماً " الأسطى بلية !! "

ماذا فعل أحمد مع الأراجوز

فى إحدى المكتبات العامة ، اختار الأطفال الصغار اسم أحمد لبطل القصة التى تعتمد على الرسوم فقط بغير كلمات ، وهى قصة رسمها الفنان الهولندى العالمى " ديك برونّا " ، الذى كتب ورسم أكثر من ٨٠ كتاباً للأطفال ، ابتداءً من عمر سنة واحدة إلى ٧ سنوات ، تمت ترجمتها إلى ٣٢ لغة .



قلتُ لهم : " مشى أحمدُ في الشارعِ إلى الروضةِ .. أحمدُ شاف
الأراجوز اللعبة يقعدُ على الأرضِ وحدهُ .. احتضنَ أحمدُ الأراجوزَ ،
وأخذهُ ليلعبَ معه في الروضةِ ، ثم رجعا معًا إلى البيتِ . "
وعندما طلبتُ من الأطفالِ ابتكارَ خاتمةٍ جديدةٍ للحكايةِ ،
قالتُ مروة : " أحمدُ عملَ أراجوزةً بنتًا ، لتلعبَ مع الأراجوز الذي
وجدَهُ أحمدُ . "

وقالَ عبدُ الرحمنِ :
" أحمدُ جمعَ أصحابَهُ في
حفلةٍ ، ليتعرفوا على
الأراجوزِ ، ويكونوا كلُّهم
أصحابًا له . "

وقالتُ إسراءُ :
" أحمدُ كانتَ عندهُ لعبةٌ
أخرى على شكلِ أراجوز .
أعطى أخته واحدةً ،
واحتفظَ هو بواحدةٍ ،
ليلعبَ مع أخته لعبةً
مسرحِ العرائسِ . "



أما ماجدة ، وكانتُ أكبرَ الأطفالِ الذين استمعوا إلى الحكايةِ
فقالتُ : " أحمدُ طلبَ من بابا أن يساعدهُ ليعرفوا مَنْ هو صاحبُ
الأراجوزِ ، ليذهبوا إليه ، لإعادةِ اللعبةِ إلى صاحبها . "

أصدقائي قد تغيروا

فى لقاء مع ٣٠٠ من فتيات وفتيان المرحلة الثانوية ، بمدرسة جمال عبد الناصر المشتركة بالقاهرة ، أرسل لى أحد الطلبة سؤالاً مكتوباً يقول فيه : " ما رأيك فى قضية أخلاق الشباب هذه الأيام ؟



لقد أصبحت أجد بعض أصدقائي قد تغيروا كثيراً . كانت أفعالهم مهذبة ، وسلوكهم سليماً بوجه عام . لكنهم الآن لا يتحرجون من تبادل نكات خارجة وحكايات غير مهذبة ، وقد أصبحت أشعر بالحرج والضيق وأنا معهم . "

قُلْتُ لِلْمُتَسَائِلِ : إِنْ بَعْضُ
الشَّبَابِ الصَّغِيرِ ، يَتَصَوَّرُ أَنَّهُ لَكَى
يُصْبِحُ الصَّغِيرُ كَبِيرًا ، عَلَيْهِ أَنْ
يُسْتَعْمَلَ الْفَاطَا خَشَنَةً أَوْ لُغَةً غَيْرَ
مُهَذَّبَةٍ . لَكِنْ هَذَا فَهْمٌ خَاطِئٌ لَوَاقِعِ
الْحَيَاةِ . فَالاحْتِرَامُ وَالتَّقْدِيرُ يَكُونَانِ
بِأَنْ نُوَكِّدَ لِمَنْ حَوْلَنَا أَنَّنَا وَصَلْنَا إِلَى
مَرَحَلَةِ النُّضْجِ ، بِقُدْرَتِنَا عَلَى تَحْمِيلِ
المَسْئُولِيَّةِ ، وَبِالتَّفَكُّيرِ الْمُنْتَظَمِ ،
وَالسُّلُوكِ الرَّاقِي . وَعَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ
أَصْدِقَاءَكَ يَفْهَمُونَ ، بِأَسْلُوبٍ مُهَذَّبٍ ،
أَنَّكَ لَا تَرْحَبُ بِهَذَا النَّوعِ مِنَ
الْأَحَادِيثِ . فَمَثَلًا لَا تَضْحَكُ مَعَهُمْ
عَلَى مَا تَرَى أَنَّهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ مِنْ
نِكَاتِهِمْ وَأَحَادِيثِهِمْ ، أَوْ حَاوِلْ تَحْوِيلَ
مَجْرَى الْحَدِيثِ إِلَى مَوْضُوعَاتٍ
لَاثِقَةٍ .



وَأَحْيَانًا يَكُونُ مِنْ غَيْرِ السَّهْلِ أَنْ تَدَافِعَ عَمَّا تَرَى أَنَّهُ الصَّوَابُ ،
لَكِنْ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً أَنْ تَكُونَ صَادِقًا مَعَ نَفْسِكَ ، وَمُخْلِصًا لِمَا تَرَى أَنَّهُ
الصَّوَابُ ، أَكْثَرُ مِنْ اِهْتِمَامِكَ بِأَنْ تَفُوزَ بِالْقَبُولِ مِنْ زُمَلَاءٍ يُصِرُّونَ عَلَى
ارْتِكَابِ الْأَخْطَاءِ .

صورة .. صورة .. وصورة !!

واحدًا بعد الآخر ، انطلق الأطفال ينزلون على " الزلافة "
في القاعة المخصصة للأطفال بمطار استكهولم . ومن بينهم طفلة في
الخامسة ، تضحك في مرح كلما وصلت إلى الأرض ، ثم تعاود صعود
سلم اللعبة ، لتزلق من جديد بعد بقية الأطفال .



ووقفت والدتها تراقبها في سعادة ، ثم أخرجت آلة تصوير ،
وطلبت من بقية الأطفال أن يتجمعوا حول ابنتها ، والتقطت لهم
صورة . ثم التفت نحو زوجها وقالت :

" لماذا لا توجد في كل مطار قاعة مثل هذه ، يجد فيها كل
طفل أطفالاً آخرين يُشاركونه اللعب إلى أن يجيء ميعاد طائرته ؟ "
وبعداً بقليل ، دخلت سيدة مع ابنها ، وكانت تتحدث معه
باللغة العربية . وما إن صعد الابن إلى " الزلافة " حتى بدأت تصوّره
بآلة فيديو .

لكن طفلة جاءت ووقفت خلف
الولد ، لتزلق بعده . هنا توقفت الأم عن
التصوير ، وطلبت من ابنها إبعاد الفتاة ،
وابتعدت البنت .

ومرة ثانية ، جاء طفل صغير وجلس
على حافة الزلافة ، فتقدمت الأم
بنفسها هذه المرة ، وأبعدته .

وأخيراً استأنفت التقاط ما تشاء من
صور لابنها وحده ، بينما وقف بقية
الأطفال يتفرجون من بعيد ، على الأم
التي لا تريد أن يظهر في شريط صورها ،
في قاعة الألعاب ، إلا ابنها وحده !!



" ذات الرداء الأحمر " تقول شيئاً جديداً

عندما دخلت ذات الرداء الأحمر بيت جدتها ، كان الضوء خافتاً ، فلم تكتشف أن النائم في الفراش هو الذئب ، بعد أن " ابتلع " الجدة . وتسمع الفتاة سؤالاً : " لماذا تأخرت ؟ "

فتجيب : " قابلت رجلاً ! " ! ثم تصحح ما قالت : " أقصد قابلت ذئباً .. مَنْ قال إن الذئب شرير ؟! لقد سمعتُ منه أحلى الكلام ، بل رقصتُ معه أيضاً . "

هنا يقول الذئب ، الذي تظن الفتاة أنه جدتها : " كنت أنتظرُكِ لتجلسي بجوارى على الفراش ، لأحسَّ بالدفء . " وبعد أن تجلس تسأل :

" لماذا أرى يديكِ كبيرتين ؟ "

فيطوِّقها بذراعه ويقول : " لكى أحتضنكِ بهما . " وعندما تسأل : " ولماذا أسنانكِ كبيرة ؟ "



تكونُ الإجابةُ أن يُخْفِيهَا
الذئبُ معه تحتَ الغطاءِ وهو
يبتلعُها !!



ولما جاء الأبُ في الوقتِ المناسبِ ، وأخرجَ الفتاةَ وجدَّتها
أحياءَ من بطنِ الذئبِ ، تقولُ الجدةُ لحفيديتها : " هذا هو الذئبُ
اللطيفُ ، الذي لا يشغلُهُ إلا أن يبتلعَ السيداتِ ، ويخدعَ الفتياتِ
الصغيراتِ " .

عندئذٍ قالتُ إحدى المشاهداتِ للعرضِ المسرحيِّ : " الآنَ
فهمتُ معنى " الابتلاعِ " الذي تحكى عنه القصةُ . إنها ليستُ حكايةً
لبصغارِ الأطفالِ كما كنتُ أظنُّ ، لهذا قالوا لنا إن هذا العرضَ
المسرحيَّ مُوجَّهٌ فقط للسنِّ التي أكبرُ من ٩ سنواتٍ . "
وكانتُ تقصدُ العرضَ الذي قدمه " فريقُ مسرحِ الطفلِ
المصريِّ السويسريِّ " ، على مسرحِ قصرِ ثقافةِ الطفلِ بالقاهرة .

أخاف أن أفقد أختي

التحقت أختي هذا العام بكلية الطب ، وتركنتي في السنة الأولى الثانوية ، بالمدرسة التي قضينا فيها سنوات دراستنا منذ السنة الأولى الإعدادية . لم نكن نفترق أبداً ، حتى عندما تركنتي في مدرستنا الابتدائية ، إلى أن لحقت بها في المدرسة التي قضينا فيها المرحلة الإعدادية ، وأبدأ فيها الآن المرحلة الثانوية .

أمّا الآن ، فأشعر أن أختي تبتعد عني . لم نعد نرافق بعضنا في الطريق صباحاً أو بعد الظهر ، ومواعيد محاضراتها تجعلني لا أكاد أراها في البيت ، وزميلاتها في الكلية يشغلن بقية وقتها في تبادل كراسات المحاضرات أو في التليفون .

أشعر أنني أفقد أختي يوماً بعد يوم .

وإلى صاحبة هذه الرسالة ، أقول إنه من الطبيعي أن تجد أختك صداقات جديدة بالجامعة ، لكن ليس معنى هذا حدوث أي تغيير في مشاعرنا نحوك . والتحاقها قبلك بالجامعة ، سيساعدك على أن تعرفي مقدماً ما الذي ينتظرك عندما تنتقلين إلى مرحلة الدراسة بالجامعة .

وأقترح عليك أن تحاولي مناقشة مخاوفك مع أختك . اختاري وقتاً يسمح بأن تنفردى فيه بالحديث معها ، وقولي لها إنك تخافين أن تفقديها . وأنا واثق أنك ستكتشفين أنه من الممكن أن تظل صداقتكما كما هي ، مهما تقدّم بكما العمر .